خطبة الجمعة بعنوان:

معاني القوة ومقاصدها

في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

وخطة عمل لتحقيق ريادة الأمة وقوتها [1]

لفضيلة الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

بتاريخ 29 ربيع الآخر 1446هـ / 1 نوفمبر 2024م

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على حبيبه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومَن على دربه اقتفى.. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وخاصته وحبيبه، إمام المرسلين، وقائد الغرّ الميامين (ﷺ)...

والصلاةُ والسلام الأتمّان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطَران الأزهَران، المزهِران المثمِران، المُشرقان المنيران؛ على مَن جُمعَت كلُّ الكمالات فيه، وعلى آله وصحبِه وتابعيه..

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والخوف من الله، واللجوء إلى الله، والاعتصام بحبل الله.

يقول الحق تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ .وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: 102-105).

أما بعد،،،

فيأيها الناس: لقد "دَعَت رسالةُ الإسلام العالميةُ الخاتمة إلى التوحيد، وطاردتِ الوثنيَّة، وقاومَتِ الفساد، وحاربَتِ العَصبيَّة، وأيقظَتِ الضَّمائر، وهذَّبتِ الغرائز، وحرَّرتِ العُقول، وطهَّرتِ النُّفوس، وقرَّرتِ المبادئ، ووضعَتِ الأصول، واحترمَتِ الحُقوق، وصانَتِ الحرُمات، وجعلتِ الحُكمَ شُورى، وأنصفَتِ المرأة، وأمرَتْ بالتَّواصي بالحقّ والصَّبر، والتعاون على البرّ والتقوى، ودَعَتْ إلى الإخاء والمُساواة والحرية، وحرَّضتْ على طلب العلم، وأوصَتْ بالعَمل، وحذَّرت من الجَهالة والكسل، وحثَّت على النَّظر في آيات الله في الأنْفُس وفي الآفاق، ونفَّرتْ من التَّقليد والجُمود، واحترمَتْ أهلَ الكتاب وضَمِنتْ لهم حقوقَهم وحريةَ المُعتقَد وحريةَ مُمارسة شعائرهم، ونظَّمَت علاقةَ الإنسان بربِّه، وعلاقتَه ببني جنسِه، وأقامتْ دولةً تَنشرُ الهداية والمعرفة، وتَحملُ ألْوِيَة السَّلام والمَحبة، وتَدعو إلى

(1) هذه الخطبة كُتبت بشكل إثرائي موسع، وللسادة الدعاة اختيار ما يناسبهم منها... والله تعالى ولي التوفيق.

الدنيا والآخرة، ونادتْ بالسَّلام، وكرَّهتِ العدوان، وفي الوقت نفْسِه رغَّبَت في إعداد العدَّة في الحَرب والسّلام، كل ذلك في ظلِّ تَشريعٍ إلهيٍّ حَكيم، وهديٍ نَبويّ كريم"[2]: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:42).

والإسلام –الذي جاء به خير الأنام ومسك الختام– هو الدين العالمي الخاتم والمتمم لكل الرسالات السماوية، والصالح لكل زمان ومكان، والمصلح لهما... فهو دين السلام والوئام، دين التسامح، دين الرفق والرحمة بكل خلق الله، وبكل مخلوقات الله، وبكل مفردات البيئة والطبيعة والكون والحياة...

الإسلام وتجريم الصراعات والحروب:

والإسلام يبغض الصراعات، ويُحرِّم إراقة الدماء، ويكره الهدم، ويمقت الظلم، ويُجرِّم الكراهية، والعاملين عليها، والعاملين فيها، والمنتفعين منها، وينفر من ازدواج المعايير، ويستهجن السكوت على الظلم، ويدعو إلى حقن الدِّماء، وإخماد الصِّراعات القديمة، وإلقاء السلاح، وترسيخ قيمة التسامح، يقول النبي: (صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ): (... وَمَن أَلْقَى السِّلَاحَ فَهو آمِنٌ، وَمَن أَغْلَقَ بَابهُ فَهو آمِنٌ...) (أخرجه مسلم في صحيحه).

وإذا كان الإسلام يُحرِّم العدوان، ويبغض الحرب، وينفر من القتل أو الارتماء في أحضان الموت، أو البراعة في استعراض القوة أو المباهاة بآلات الحرب وآليات الدمار، فإنه في الوقت نفسه يدعو إلى امتلاك القوة الشاملة المنضبطة بمعايير الاخلاق التي تحمي الحق والعدل.

ويقرر الإسلام أن الحرب لا تكون إلا دفاعًا عن الدين والأرض والناس والعِرض والمال، وردًّا للعدوان، وبسطًا للأمن الشامل، وكسرًا لشوكة الأعداء الذين اعتدوا علينا، أو يخططون لذلك.

ومن هنا فإننا بحاجة ماسة إلى الأخذ بجميع أسباب القوة البشرية والعلمية والتقنية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة التحديات المتواترة والمتسارعة.

والنص الشريف الخالد يذكرنا دوما بذلك، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (... لا تتمنوا لقاءَ العدوّ واسألوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتُمُوهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ)، ثم قال النبيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللهم مُنزِّلَ الكتابِ، ومُجْرِيَ السحابِ، وهازمَ الأحزابِ، اهزمهم وانصُرْنَا عليهم) (أخرجه مسلم في صحيحه).

العدو المجهول:

- وتتعاظم الحرب إذا كان العدوُ مجهولا ومباغتًا، ينشر بذورَ الخوفِ في أرض الله، وينشر شرَّه وخبثه وعدوانَه في كل مكان كما يفعل المجرمون والإرهابيون؛ لذلك كانت الحاجة ماسة دومًا إلى أناس من طراز فريد؛ تساموا فوق الحياة وملذاتها وشهواتها، وسمت مواقفُهم وبطولاتُهم إلى أعلى الأعالي.. باعوا أنفسهم لله.. إنهم الرجال... إنهم الأبطال... الذين يواجهون هؤلاء... نعم الحرب بغيضة في منظور الإسلام، ولكن إذا فُرضت علينا، يجب أن نكون رجالا... رجالا في قوتنا... رجالا في وحدتنا... رجالا في صلابتنا... رجالا في بذلنا... رجالا في دعمنا... رجالا في تضحياتنا بالنفس والنفيس... رجالا على قلب رجل واحد.

الحق لا بد من قوة تحميه:

ومن الحقائق التي يجب أن تكون حاضرة على الدوام، أن الحقَّ مهما كان قويًّا بحد ذاته، فإنه يحتاج دومًا إلى قوة: تحميه، وتصونه، وتدافع عنه، وتطبقه؛ حتى يظهر ويعلو ولا يطغى عليه الباطل.

والحقوق (الفردية والجماعية)، سواء كانت (دينية أو اقتصادية أو اجتماعية)، لا يمكن صيانتها من دون وجود قوة تدافع عنها وتمنع الاعتداء عليها.

فالحق إذا لم يُحْمَ بالقوة فقد يضيع ويُهْدَر، ولذلك لا بد أن يرتبط الحق بالقوة التي تحميه وتدافع عنه.

والقوة هنا لا تعني الظلم أو الاعتداء، بل تعني الاستعداد والقدرة على الدفاع والتصدي للظلم، وبذلك يتحقق التوازن ويثبت الحق.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: 60)، ليعلمنا أهمية القوة بمعناها الشامل في حماية الحق وردع الظالمين.

---

(2) محمد محمد الدهان في كتابه القيم – محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسلَّمَ) أريج من سيرته وقبس من شريعته، بتصرف.

مفهوم القوة في الإسلام:

القوة في الإسلام ليست قوة منفلتة، أو غاشمة، أو عنيفة، أو ظالمة؛ بل هي قوة تجمع بين العدل والرحمة والحكمة.
والإسلام يحث على استخدام القوة بالحق وفي بسط الحق ولأغراض نبيلة، وليس للظلم أو العدوان.
والقوة في الإسلام تستهدف:

- تحقيق التنمية والازدهار والتقدم
- وحماية الإنسان والأوطان والأديان والعمران
- وحماية الضعفاء
- ونصرة الحق
- وتحقيق الأمن والاستقرار

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يشددان على ضبط النفس والتحلي بالصبر، وتجنب الظلم والاعتداء.
قال الله تعالى: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: 190).
ولقد كانت الحضارة الإسلامية في عصر قوتها وعزها وعزتها وريادتها وسيادتها، كانت موئلا وملجأ للمستضعفين، الذي وجدوا فيها الأمن والأمان والحماية والرعاية...
وإذا كان الكيان الصهيوني قد طغى وتجبر في الأرض وقتل آلاف الأبرياء والمستضعفين في فلسطين ولبنان وفي غيرهما، ودمر الأخضر واليابس، وهدم المساجد والكنائس والمشافي والمدارس والجامعات وغيرها، **فإن حضارتنا الإسلامية قد حمت اليهود، فقد نَعِمَ يهودُ إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي بفترة ازدهار لم ينعم بها قط غيرُهم من اليهود في أيِّ مكان آخر.** وكان في الأندلس وزراء وشعراء وعلماء يهود. ولقد اشتغل العلماء المسيحيون واليهود والمسلمون جنبًا إلى جنب في طليطلة المسلمة، مترجمين أمهات المصنفات الفلسفية والعلمية اليونانية القديمة. **فهل عرفت الدنيا أو وعت ذاكرة التاريخ مثل هذا الأفق الرحيب في التسامح والسلام والمحبة والقبول بمبدأ الاختلاف.**

** **والقوة في الإسلام لا تقتصر على القوة البدنية أو العسكرية فقط، بل تتسع لتشمل القوة العلمية والتقنية والاقتصادية والاجتماعية، والقوة الإيمانية والروحية.**

- **القوة الإيمانية والروحية:**

القوة الإيمانية والروحية قوة داخلية ذاتية لا تعدلها قوة، فهي المحرك العملاق للمؤمن لرعاية الحق والعدل، وحماية الإنسان والأديان والأوطان...
والإنسان المؤمن هو ذلكم الشخص القوي الذي يعدُّ طاقة من الخير تتحرك في كل اتجاه، وهو المنضبط بتعاليم الله، يسارع إلى حماية البلاد والعباد، وحماية الحقوق والأعراض، ويبادر دوما إلى صناعة الخير.
لذلك فإن الإسلام يريد مسلمًا قويًّا في كل شيء، تجري في عروقه دماء الصحة، والقوة، والسلامة، والعافية، والنخوة، والشهامة، والأخلاق، والإبداع، والإتقان، والإحسان. يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ..) (أخرجه الإمام مسلم).
أيها المسلمون: إن أمتنا في عصرها الراهن في حاجةٍ إلى المؤمن القويّ في عقيدته، القوي في أخلاقه، القويّ في صلته بالله، القويّ في علمه وعمله وإبداعه، القوي في مهاراته وخبراته وجداراته، القوي في عزته وقدرته، القوي في تساميه وتسامحه، القوي في احترامه لمخلوقات الله، القوي في حفاظه على وطنه ومقدراته، القوي في جميع مناحي الحياة... القوي الذي يستعين بنِعم الله تعالى على طاعة الله، وتقوى الله، ورضا الله، ومرضاة الله... إنه الفائز والحائز لرضا الله في الدنيا والآخرة... أما مَن يستعينُ بنِعم الله على معصية الله وعلى إيذاء خلق الله فهو الضعيف والمفلس والخاسر في الدنيا والآخرة..

الأمة –أيها المؤمنون– في حاجة إلى رجال مؤمنين، وإلى نساء مؤمنات، يتعلقون بحبال الله، ويطبقون منهجه في الحياة، يستنصرون بالله، عندها سيتحقق قوله تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج:40–41).

وإذا العناية لاحظتك عيونُها *** لا تخشَ من بأسٍ فأنت تصانُ

وبكلّ أرضٍ قد نزلت قفارها *** نم فالمخاوف كلّهنَّ أمانُ

- **بناء الإنسان الصالح.. قوة:**

بناء الإنسان الصالح المصلح النافع لنفسه ولغيره ولوطنه ولدينه عملية شاقة ومركبة ومتداخلة وتكتنفها صعوبات وتحديات وهي أصعب بكثير من بناء بنايات شاهقة... والطفل الصغير عجينة غالية جدًّا فيجب أن نشكلها على أفضل ما يكون...

ومن ثم على الوالدين والمربين أن يعلموهم شكر نعم الله تعالى؛ فبالشكر تدوم النعم، ومن أهمها: نعمة الإسلام ونعمة الوطن الذي باركه الله، ونعمة الأمن والأمان.. علموهم احترام أقدار الله في الكون والخلق والحياة.

علموهم أن الخير قادم، وأن المستقبل يحمل الخير. ازرعوا فيهم الأمل – حب العمل – العزة – الصدق– حب الوطن وحب الناس– والأمن – العدل – الحرية – الحنية – الثقة– القدوة). علموهم أنهم أصحاب رسالة ومسئولية في هذه الحياة. علموهم أن تقدم الوطن يتوقف على الأداء الحضاري المتميز لمجموع المواطنين. علموهم القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي.

ازرعوا فيهم قيم الاتقان والإحسان، علموهم الإتقان والإحسان، في كل شيء، ومع كل الناس والمخلوقات، وفي كل حال.. قيل لسيدنا يوسف وهو في السجن..!!،" (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف:36)، وقيل له وهو على خزائن مصر (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، فكن أيها المسلم محسنًا حتى وإن لم تلق إحساناً من الناس..كن محسنًا ليس لأجلهم. !!.بل لأن الله يحب المحسنين".

- **القوة العلمية:**

العلم هو الركيزة الأساسية لكل أنواع القوة، وهو أساس التقدم والازدهار والتنمية والتأثير في الحياة...

والقوة العلمية تعني تحويل المعرفة النظرية ونتائج البحوث والأفكار والطروحات إلى مبتكرات ومخترعات تسهم في حل المشكلات ومواجهة التحديات، وتحسين جودة الحياة...

القوة العلمية تعني تنمية الموارد وتحسين الاستثمار، وتحسين الصحة، وتطوير التكنولوجيا، والحفاظ على البيئة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والريادة في شتى المجالات...

القوة العلمية تعنى تطوير القدرات البشرية والاقتصادية والعسكرية وامتلاك نواصي التقدم في شتى المجالات، وتعني الحفاظ على العقول المبدعة وتنميتها ورعايتها وتعظيم الاستفادة منها باعتبارها استثمارا إستراتيجيا.

- **القوة الاقتصادية:**

المال هو عصب الحياة، وهو الوقود المحرك لعجلتها ولا يمكن أن تسير إلا به، وهو الدافع للعمل والإنتاج والإبداع والاستثمار...إلخ.. لذلك جعل الله –سبحانه وتعالى– للمال مكانة كبيرة في هذه الحياة؛ وزاده إجلالا وتشريفًا بإدخاله في العبادات، إذ جعل ركنًا كاملا من أركان الإسلام الخمسة يقوم على المال وهو ركن الزكاة.

والاقتصاد ركيزة أساسية في شتى أنشطة الحياة.. في كل زمان ومكان وسيظل كذلك.

وعندما يتأثر الاقتصاد بأي عامل من العوامل الداخلية أو الخارجية، يحدث ارتباك في دنيا الناس؛ لذلك يعمد الأعداء للعبث بملف الاقتصاد من أجل إسقاط الدول والشعوب اقتصاديًّا؛ حتى تعمّ الفوضى وتنتشر البلطجة، ويكثر النهب والسلب، ومن ثم يسهل التدخل والسيطرة والاستيلاء على مقدرات الشعوب؛ لذلك كله كان لابد للمال والاقتصاد من قوة تحميه..

ولقد حرص الناس عبر عصور التاريخ المختلفة على تحقيق التأمين الكامل للاقتصاد وأنشطته المختلفة؛ حتى تسير عجلته وحركته ويؤدي دوره المحوري في هذه الحياة..

ونحن نتحدث عن القوة الاقتصادية فلابد من:

- **زيادة الإنتاج**، مع الإتقان والإبداع والابتكار واقتحام المجالات الأكثر حيوية والأكثر عائدًا ومردودًا.
- **وترشيد الاستهلاك**، ليس في مجال الطعام والشراب فحسب، بل في كل جوانب الحياة: في المياه، والكهرباء، والغاز، والوقود، والأدوية...إلخ
- **والادخار والاستثمار**، أو الاستثمار المنطوي على الادخار.
- **وأن يؤدي كل شخص ما عليه من واجبات** كما يحرص على تحصيل ما له من حقوق، ذلك أن تهرب بعض الناس من أداء ما عليهم من التزامات مقابل الخدمات يؤدي إلى تدهور الاقتصاد.

يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام): (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) (يوسف: 47)، فهي دعوة إلى زيادة الإنتاج من خلال العمل الجاد الدؤوب، وإلى ترشيد الاستهلاك إلى أقصى درجة ممكنة، حيث قال سبحانه: (...إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) ولم يقل إلا ما تأكلون، وإلى الادخار.

وفي الدعوة إلى الإنتاج يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إنْ قامَتِ الساعةُ وفي يدِ أحدِكمْ فَسِيلةٌ، فإنِ استطاعَ أنْ لا تقومَ حتى يَغرِسَها فلْيغرِسْهَا) (أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد).

وفي الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك يقول (صلى الله عليه وسلم): (ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أكلاتٍ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كان لا محالةَ: فثلُث لطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنفَسِه) (أخرجه الإمام الترمذي في سننه).

- **القوة الاجتماعية**:

إن تقوية البناء الاجتماعي، ودعم اللحمة الاجتماعية والترابط بين أفراد المجتمع، وترسيخ المواطنة، والمساواة في الحقوق والوجبات، من أهم أسس القوة الاجتماعية...

وقوة البناء الاجتماعي وصلابته ومتانته هي الأساس والقاعدة الصُّلبة اللازمة لعمليات التقدم والبناء والازدهار.

فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه).

- **القوة العسكرية والتدريب عليها (قصص وشواهد من حياة الرسول والصحابة)**:
  - **التدريب على الرماية وركوب الخيل:** كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يشجع المسلمين على التدريب على الرماية، فقال: (ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا) (أخرجه البخاري). وكان يشجع كذلك على ركوب الخيل وتعلم الفروسية، لأن هذه كانت من أهم وسائل الإعداد الحربي في ذلك الوقت.
  - **تعليم الصحابة التخطيط والتكتيك العسكري:** كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحرص على تعليم الصحابة التخطيط العسكري والإعداد الجيد. فمثلًا، في غزوة أحد، قام بتنظيم صفوف المسلمين وتحديد مواقع الرماة، وأوصاهم بعدم ترك مواقعهم. وعلى الرغم من أن المسلمين خالفوا التعليمات فيما بعد مما أدى للهزيمة، فإن هذا الحدث علّمهم درسًا مهمًا في أهمية الالتزام بخطة المعركة.
  - **إرسال السرايا والبعوث الاستطلاعية:** كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يرسل سرايا استطلاعية لمعرفة تحركات الأعداء وجمع المعلومات عنهم، مما يُعد نوعًا من الإعداد المعلوماتي والاستخباراتي. هذا يظهر بوضوح في إرساله السرايا قبل غزوات مثل: بدر، حيث كان يسعى دائمًا لمعرفة حالة العدو واستعداداته.
- **التحالفات وبناء العلاقات:** وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقوم بالإعداد السياسي عبر عقد التحالفات والمعاهدات مع بعض القبائل، مثل: معاهدته مع يهود المدينة عند قدومه إليها، والتي كانت تستهدف حماية الجبهة الداخلية للمسلمين وتوحيد الصفوف.
  - **امتلاك الموارد اللازمة والمصادر المستدامة:** باعتبار أن ذلك من قوة الأمة واستقلالها.

نماذج تطبيقية:

✓ **قصة حفر الخندق:** عندما علم النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن الأحزاب قد اجتمعوا لمهاجمة المدينة، استشار أصحابه في كيفية الدفاع. فاقترح الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه) حفر خندق حول المدينة، كإجراء دفاعي، وهو أسلوب لم يكن معروفًا عند العرب. وقام النبي وأصحابه بحفر الخندق في وقت قياسي؛ مما أظهر تطبيق مبدأ الإعداد وتبني الأفكار الجديدة لمواجهة العدو. وهذا دليل على أن الأخذ بالأسباب جزء من إيماننا بالله.

✓ **معركة بدر الكبرى:** كانت معركة بدر أول اختبار حقيقي للمسلمين في مواجهة قريش. وقد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاستعداد بتجهيز الجيش وتنظيم الصفوف وإعداد القوة المتاحة على الرغم من قلة العدد والعدة والعتاد مقارنة بجيش قريش. فجيش المسلمين كان يتكون من حوالي 313 شخصا، وفرسان و70 بعيرا فقط، وكانوا يتناوبون الركوب عليها، لكن الإعداد كان بالشجاعة والتوكل على الله والتدريب الجيد.

ولقد سار الصحابة الكرام على نهج النبي العظيم في ذلك:

– كان **عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه) شديد الحرص على إعداد الجيش وتقوية المسلمين. فقد قام بتأسيس **نظام الدواوين**، وهو بمثابة سجل للجيش وجنوده لضمان تأمين نفقاتهم وتوفير حاجاتهم، مما جعل الجيش الإسلامي أكثر استعدادًا وتماسكًا.

كما أسس عمر (رضي الله عنه) أيضًا نظام **"العسعس"** للحراسة الليلية، حيث كان يخرج ليلاً بنفسه يتفقد أحوال الرعية، وكان ذلك أحد أشكال الاستعداد لحفظ أمن الدولة الإسلامية.

– ففي **معركة اليرموك، كان خالد بن الوليد** (رضي الله عنه) مثالاً للإعداد العسكري في ميدان المعركة، وعلى الرغم من أن جيش المسلمين كان أقل عددًا وعدة، إلا أن سيدنا خالد نظّم الصفوف ووضع خطة محكمة لمواجهة جيش الروم. فكانت خطته تشمل استخدام التكتيكات العسكرية، مثل: الكرّ والفرّ، وتغيير مواقع الجيش، واستغلال التضاريس لصالح المسلمين، مما أدى إلى نصر كبير رغم التفوق العددي للعدو.

– وفي **معركة القادسية، قام سعد بن أبي وقاص** (رضي الله عنه) بتنظيم الجيش وتجهيزه بأحدث الطرق الممكنة حينها، وأعدّ الجنود من حيث التدريب العسكري. كما أمر بنقل المعلومات عن تحركات الفرس وحالتهم العسكرية، مما مكن المسلمين من تحقيق نصر عظيم في هذه المعركة الحاسمة التي فتحت الطريق لانتشار الإسلام في بلاد فارس.

– والصحابة الكرام كانوا ملتزمين بتوجيه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تعلم الرماية والفروسية كجزء من الإعداد العسكري المستدام.

- **قوة الإبداع في إدارة الذات والإمكانات لمجابهة الأزمات:**

وعلينا أن نبرع في إدارة الذات والإمكانات –مهما قلّت–، من سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما حدث في:

– **الهجرة الشريفة** حيث وظَّف فيها كل عناصر المجتمع وفئاته، حتى الكفيف الذي أرسله إلى المدينة لفتح القلوب لاستقبال أنوار الله، وإنشاء الدولة الجديدة القوية التي انطلق منها نور الإسلام في كل مكان.

– **معركة بدر**، حيث وظَّف فيها الإمكانات اليسيرة خير توظيف ومن قبل ذلك الاعتماد على الله والأخذ بالأسباب.

– **فتح مكة**، والتخطيط الاستراتيجي لها الذي كان وما يزال وسيظل مجالا للدراسات الاستراتيجية..وغيرها كثير.

عباد الله: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاةُ والسلام نبيه المصطفى (ﷺ)، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله... أما بعد،،

- **قوة التسامح**:

وإذا كانت البشرية في عصرها الراهن المخيف، تواجه تحديات جسامًا، تتسم بالتواتر والتتابع والنمو وسرعة الوتيرة والتشابك والتعقيد، وإذا كان بعض رجال الحضارة الحديثة قد أصابهم الكِبَرُ والكِبْرُ؛ حيث وصلوا إلى القمر، وزرعوا الأقمار الاصطناعية، ونثروا أجهزة الاستشعار عن بُعد في الفضاء، وثبَّتوا كابلات الإنترنت في أعماق البحار والمحيطات، ونشروا موجات التقنية وترددها في كل مكان، وتسابقوا في اختراع آليات الموت والدمار بشكل رهيب، في ظل سعار الرأسمالية المتوحشة واستشراء الأنانية والعنصرية والكيل –ليس بمكيالين فقط كما كان من قبل!، بل الكيل– بمكاييل متعددة تختلف في حجمها وأوزانها؛ على حسب ما تُمليه مصلحتهم وأنانيتهم في إطار الإمبريالية المقيتة!!.

والسباق ما يزال محمومًا وسيظل لإحكام السيطرة على الشعوب، وفرض إرادتهم على العالم بالقوة الغاشمة من خلال امتلاك أعتى وأذكى الأسلحة (النووية – والذرية، وقنابل الإبادة الشاملة، والصواريخ العابرة للقارات، والغواصات النووية التي تدور في أعماق البحار والمحيطات على مدار الساعة، ناهيك عن الأسلحة البيولوجية التي ذاق العالم كله من حصادها المر خلال الفترة الماضية)[3].

ومن هنا وانطلاقا مما سبق فإن العالم كله في حاجة ماسة إلى قوة روحية جبارة، تحمل في كينونتها وفي طياتها حبوب لقاح المحبة والتعايش والسلام، وهذه القوة كائنة وكامنة في القيم الإسلامية الضابطة لفكر الإنسان وقيمه وسلوكه، وعلى رأسها قيمة التسامح، وهي من القيم الإسلامية والإنسانية الكبرى التي من شأنها –حال تمكينها في الحياة– أن تُسهم في إيجاد بيئة عالمية متسامحة متعاونة منطلقة من أصل واحد (الإخوة الإنسانية والرَّحم المشترك)، وقيادة سفينة البشرية إلى سواحل الرشاد، وشواطئ الأمان، لاسيما وأن القيمة عندما تستمد قداستها من العمق الديني، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيرًا في حياة الإنسان.

وسائل إعداد القوة:

إن إعداد القوة بمعناها الشامل أمر يستدعي التخطيط والإبداع والعمل المستمر، ومن ذلك:

- **الإخلاص لله تعالى، وحسن التوكل عليه، والأخذ بكل الأسباب.**
- **تربية الأجيال المسلمة على القيم والمبادئ.**
- **يجب على المسلمين أن يستعيدوا مجدهم ويتفوقوا في شتى العلوم ويبرعوا فيها، ولدينا من الكفاءات البشرية ما يكفي لتحقيق الريادة والسيادة، والعقول المصرية والعربية والمسلمة المهاجرة هي مَن شيدت النهضة والتقدم في كثير من دول العالم، والعقل المسلم هو مَن أسس المنهج العلمي والعلوم والفنون والآداب، ورفع مشاعل النور في كل مكان يوم أن كانت أوروبا تعيش في دياجر التخلف والظلام.**
- **تحقيق الاكتفاء الذاتي والسعي إلى تحقيق الاستقلال الاقتصادي للأمة عن طريق العمل الجاد والسعي لتنمية الموارد الطبيعية والبشرية.**
- **الاهتمام بالروح المعنوية لأن الإيمان بالله والثقة بنصره هي القوة الروحية التي تشحن القلوب وتزيد العزيمة.**

([3]) ولعل الخطورة الحقيقية تكمن في:

– التسابق لصناعة مثل هذه الأسلحة التي تشكل تهديدًا ليس لمئات الآلاف من البشر أو حتى الملايين فحسب؛ بل تهدد بإفناء الحياة والأحياء في هذا الكوكب.

– أن الردع النووي بات مناط تفاخر شعوب وقادة يحتفلون بعضوية بلدانهم فيما يُدعى "النادي النووي".

– تَهَوَّر بعض مالكي مثل هذه الأسلحة أو المتحكمين فيها، حيث بإمكانه بضغطة زر أن يقلب العالم ويدمره رأسا على عقب... وقد رأي العالم بعض الحكام في شرق الأرض، وفي غربها من مالكي مثل هذه الأسلحة، يلوحون بها تارة تصريحًا، وتارة تلميحًا... راجع د/ أحمد علي سليمان: التربية على قيم التسامح نحو ممارسات عملية لبناء المواطنة العالمية، بحث مقدم للمؤتمر الثاني والثلاثون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (عقد المواطنة وأثره في تحقيق السلام المجتمعي والعالمي) **12– 13** فبراير **2022**م. ص **2 – 3**.

- تطوير القدرات الدفاعية وامتلاك وسائل الدفاع والتكنولوجيا الحديثة، وهذا يدخل في باب الأخذ بالأسباب.
- التواصل والتعاون الدولي: الاستفادة من الخبرات العالمية لبناء علاقات قوية مع الشعوب الأخرى.

بلاغة آية: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"

تحمل الآية عدة أسرار ومعانٍ عميقة، من هذه الأسرار:

1. **الاستعداد الشامل والمستمر**: فكلمة "مَا اسْتَطَعْتُمْ" تشير إلى بذل كل الجهود الممكنة، وهذا يعني أن الإعداد لا يجب أن يكون محدودًا، بل يستمر إلى أقصى حدٍّ ممكن. وهذا يشمل جميع أنواع القوة، سواء كانت قوة بدنية، أو عقلية، أو اقتصادية، أو اجتماعية.
2. **شمول مفهوم القوة**: استخدام لفظ "قُوَّةٍ" جاء نكرة ليشمل كل أنواع القوة التي يحتاجها المسلمون.
3. **التركيز على الأخذ بالأسباب**: توجيه الآية للأخذ بالأسباب والتخطيط والتهيئة لأن النصر لا يأتي بلا جهد. الإعداد جزء من التوكل على الله، والمسلم مطالب ببذل ما في وسعه وترك النتائج لله.
4. **دور التخويف الرادع للأعداء**: قوله "تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" يظهر أن القوة ليست فقط للهجوم أو القتال، بل لردع الأعداء وحماية المجتمع من شرورهم. فإذا علم الأعداء ذلك تراجعوا عن الاعتداء.
5. **الاستعداد النفسي والمعنوي**: الآية تحمل إشارة ضمنية لأهمية الإعداد النفسي والمعنوي، فالإيمان والعزيمة جزءان من القوة التي تعطي المسلمين قوة لا تقل عن القوة المادية.
6. **استخدام كل الوسائل الممكنة**: جاءت عبارة "مَا اسْتَطَعْتُمْ" لتعني استخدام كل ما يمكن من وسائل. الآية تتضمن دعوة لتطوير الوسائل باستمرار ومواكبة التطور واستخدام كل جديد ومفيد.
7. **قوة الوحدة والتعاون**: الإعداد يحتاج إلى جهد جماعي وتحتاج الأمة للتعاون والتكاتف لتتمكن من تحقيق الاستعداد الكامل.
8. **الربط بين الإعداد والتوكل على الله**: الآية تدعو المسلمين إلى الاستعداد، ولكن دون الاعتماد الكلي على قوتهم فقط، فالمسلم يقوم بما عليه من إعداد، ولكن يبقى النصر بيد الله. فالآية تعلمنا التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

أيها المسلمون، إن الإعداد للقوة واجبٌ شرعي، ومن لا يستعد لا يستطيع أن يواجه التحديات.

فلنكن أقوياء في إيماننا، وفي علمنا، وفي أخلاقنا، وفي أفعالنا.

ولكن كيف نكون أقوياء بحق؟

أولا: علينا أن نعلم علم اليقين أننا لن نكون أقوياء بحق إلا بالله تعالى.

ثانيا: أن نمتثل قول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...)، فنبذل غاية الوسع ونترك الباقي على الله.

ثالثا: أنه لن ينصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالأمة الإسلامية حققت أعظم إنجازاتها حين تمسكت بقيمها الأساسية المتمثلة في: الإيمان العميق، والالتزام بالعدل والأخلاق، وبذل العلم والعمل من أجل نهضة المجتمع.

رابعا: أن نأخذ بكل أسباب القوة العلمية والفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية

خامسا: الاهتمام البالغ بالكنوز البشرية من النوابغ والمواهب في شتى المجالات، ومن ذلك إنشاء قواعد بيانات لهم، ورعايتهم والعناية بهم والاستثمار فيهم، وتعظيم الاستفادة منهم.

سادسا: الاستفادة من العقول المهاجرة، التي بعدت عن الوطن، ووجدت المحاضن الملائمة لتنفيذ أفكارهم ومخترعاتهم في الخارج. وكثير منهم على استعداد لخدمة الوطن والأمة.

سابعا: إنشاء مرصد علمي لكل نتائج الدراسات والبحوث والطروحات العلمية، وتصنيفها والسعي لتطبيقها، مع الاستعانة برجال الأعمال ومنظمات المجتمع المدني...

فاللهم اجعلنا من أهل القوة في الإيمان ومن أهل القوة في الحق والعدل والصناعة والزراعة والتجارة والتكنولوجيا، والقوة العسكرية، وأعنا على ما يرضيك، واجعلنا من الناجحين في الدنيا والآخرة.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها لا يصرف سيئها إلاّ أنت، اللهم فقّهنا في ديننا وبصّرنا بعيوبنا، وارزقنا الثبات واليقين، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واحفظنا مِن بين أيدينا ومِن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومِن فوقنا ونعوذ بعظمتك أنْ نُغتال مِن تحتنا، اللهم أصلحنا وأصلح لنا وأصلح بنا واصلح مَن حولنا، اللهم اهدنا سُبُل السلام، وأخرجنا مِن الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق قيادتها وجيشها وأمنها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وأقم الصلاة

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري 2022م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية

عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: 01122225115

بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

لمتابعة صفحة الفيس بوك: د. أحمد علي سليمان

https://www.facebook.com/profile.php?id=100000740887758

***